العنف والتكنولوجيا عند "جان بودريار" دراسة تحليلية

إعداد

معاذ عبد اللطيف محمد خضر

moaz153145@art.tanta.edu.eg

أ.د/ إبراهيم طلبه سلكها

أستـــاذ الفلسفـة الحـــديثـــة والمعـــــاصـــرة

وكيل الكلية لشؤن خدمة المجتمع وتنمية البيئة السابق

ibrahim.abdelkhalek@art.tanta.edu.eg

1445هـ -2024

المستخلص:

لقد شغلت التكنولوجيا في الخطاب الفلسفي حيزاً واسعاً فقد رصد الفلاسفة الدور الذى باتت تؤثره التكنولوجيا في حياة الناس وخصوصاً في القرن الأخير، منهم على سبيل المثال مارتن هيدجر Martin Heidegger (1889-1967)، وجاك إيلول Jack Ellul (1912-1994)وفلاسفة مدرسة فرانكفورت منهم بيتر سلوتردايك Peter Sloterdijk (1947)، وجان بودريار فقد أكد الأخير على الدور الخطير الذى باتت تهيمن به التكنولوجيا في حياة الأفراد والمجتمعات وخصوصا بعد عصر العولمة التي لا تراعي أي ضابط أو قيد أخلاقي ففتحت لنفسها كل أفاق التحرر من أغلال العصور السابقة باسم التقدم التكنولوجي.

من هنا يحذر بودريار من تغلغل التكنولوجيا في حياة الأفراد بدون ضابط أو قيد حيث عملت التكنولوجيا على خلق عنف يهدد حياة الإنسان على هذه البسيطة، فقد حلت التكنولوجيا مكان الإنسان وقامت ببعض وظائفه، مما أدي إلى الاستغناء عنه في بعض الوظائف، وكذلك أنها أدت إلى مزيد من اغتراب الإنسان حيث أنها أدخلته في عوالم افتراضية يمني النفس فيها بالسعادة، ولكنها في الحقيقة زادت من بؤسه وشقائه حيث انمح جسده فيها وصار في عزلة عن مجتمعه، فسيطرت تلك التكنولوجيا على أفكاره وطباعه بلا وعى منه، فراح يستهلك ما يراه مادياً وفكريا ظناً منه أنها الخلاص من شقائه في هذا العالم.

إن أخطر ما في التقدم التكنولوجيا هي محاولة الإنسان الدؤوبة لخلق آلة صناعية أذكى منه ولكنها كما يصفها بودريار ستكون أسرع في الإجهاز عليه وتدمره وتفنيه.

الكلمات الافتتاحية:

التكنولوجيا، التكنولوجيا والبيئة، تكنولوجيا ما بعد الحداثة، التكنولوجيا الحديثة، التطور التكنولوجي، التقدم العلمي، العولمة، العنف، الإرهاب، الاغتراب، الاستهلاك.

Violence and technology For“Jean Baudrillard”

Preparation

Moaz Abdul Latif Mohammad Khadr

Prof. Dr. Ibrahim Tolba Saleka

ibrahim.abdelkhalek@art.tanta.edu.eg

Professor of modern and contemporary philosophy

Former Vice Dean of the College for Community Service and Environmental Development

1445 AH- 2024 AD

Abstract:

Technology has occupied a significant place in philosophical discourse, with philosophers observing its growing impact on human life, particularly in the last century. Among them are Martin Heidegger (1889–1976), Jacques Ellul (1912–1994), and philosophers of the Frankfurt School, such as Peter Sloterdijk (1947), and Jean Baudrillard. The latter, in particular, emphasized the dangerous role that technology has come to play in the lives of individuals and societies, especially in the era of globalization, which disregards any ethical constraints or boundaries. This has enabled technology to open up unprecedented horizons of liberation from the shackles of past eras in the name of technological progress.

Baudrillard warns of the unchecked infiltration of technology into individuals' lives, where it has created a form of violence that threatens human existence on Earth. Technology has replaced humans in certain roles, leading to their redundancy in some functions. It has also contributed to further alienation, immersing individuals in virtual worlds where they pursue an illusion of happiness. In reality, however, it has deepened their misery and isolation, as their physical presence diminishes and they become detached from their communities. Technology has dominated their thoughts and behaviors unconsciously, leading them to consume material and intellectual content under the false belief that it offers salvation from their suffering in this world.

The most dangerous aspect of technological progress, as Baudrillard describes, is humanity's relentless attempt to create an artificial machine smarter than itself, which he warns will be quicker to overpower, destroy, and annihilate its creator.

Keywords: Technology, Technology and Environment, Postmodern Technology, Modern Technology, Technological Development, Scientific Progress, Globalization, Violence, Terrorism, Alienation, Consumption.

مقدمة:

مر التطور التكنولوجي عبر تاريخ البشرية بعدة مراحل أساسية غيرت جذرياً من أسلوب تعامل الإنسان مع بيئته المادية والاجتماعية، كانت كل مرحلة منها بمثابة ثورة، وذلك لما أحدثته من تغيرات جذرية في قوى الإنتاج الآلية والبشرية، فإذا كانت الثورة الزراعية مكنت البشر من استخدام النار في تشكيل المعادن، وصناعة المعدات والأدوات التي ساعدت الإنسان في أداء عمله، فإن التطور التكنولوجي الذي حدث منذ بداية الثورة الصناعية الأولى والثانية وحتى الثورة الصناعية الثالثة، ووصولاً إلى الثورة الصناعية الرابعة، قد أحدث تغييرا كبير بل وجذرياً في حياة الإنسان.

فلا جدال في أن التكنولوجيا هي سلاح العصر والمستقبل من أجل عالم قادر على استغلال كل طاقاته الممكنة والمحتملة للارتقاء بمستوى الإنسان أينما كان، لكن المشكلة تكمن في أنه سلاح محايد بحيث يمكن استغلاله في التعمير أو التدمير على حد السواء، أي أن العبرة بأسلوب توظيفه، وليس الابتهاج به في حد ذاته. ولذلك فإن القناع التكنولوجي البراق والمبهر الذى يرتديه أنصار العولمة يمكن أن يخفى تحته رعبا لا حدود له خاصة إذا تحكمت الغرائز الوحشية فى المسيطرين على زمام الأمور الاقتصادية والسياسية والإعلامية.

وهذا أمر محتمل للغاية نظرا لعشق الإنسان الغريزي للسطوة والجبروت وفرض نفسه على الآخرين بشتى الوسائل، فكانت هذه الوسائل التكنولوجية التي لا تتوقف عن التطور والانطلاق إلى آفاق غير محدودة وغير منضبطة للإنسان المعاصر.

لقد تغلغلت التكنولوجيا وتفاقم دورها وخاصة مع حلول الثورة الرابعة من خلال الذكاء الاصطناعي وإنترنت الأشياء والعوالم الافتراضية، وهو الأمر الذي بلا شك سينعكس على الأوضاع الاقتصادية العالمية، فقد تسبب في منافسة حادة مع أدوار والوظائف المختلفة فقلل من استيعاب الأيدي العاملة البشرية مما أدى تهديد حياة الإنسان الوظيفية، ولا سيما العقد السابق، فقد شرعت جميع المجالات في تحويل أنشطتها وخدماتها عبر الفضاء الإلكتروني والآلات الحديثة فيما سمي بالرقمنة والثورة الصناعية الرابعة، حيث برزت الحرب الرقمية، والطب الرقمي، والاقتصاد الرقمي، وكذلك علم الاجتماع الرقمي المتصل بشيوع وسائل التواصل الإلكترونية في حياتنا بشكل كبير، في العمل والتوظيف، وأنه على الرغم من أن المستفيدين من تلك التطبيقات حتى الآن انحصروا في قلة من المستهلكين القادرين تحمل تكاليف العالم الرقمي والوصول إليه إلا أنه يوما بعد الآخر تتسع دائرة المستفيدين من تلك التطورات التكنولوجيا، ورغم هذه الإيجابيات إلا أن هناك الكثير من التخوفات حول النتائج السلبية لتلك الثورة.

وهنا يبين لنا بودريار [*] وهو من مدرسة فرانكفورت المتخوفة من سلبيات التكنولوجيا على الفرد والمجتمع والعالم أجمع؛ وهنا يناقش الباحث النتائج التي جناها الإنسان من الاستخدام المفرط أو السيئ للتكنولوجيا؟ وكيف ساهمت في نشر العنف وبثه في أرجاء العالم؟

أولاً: تعريف التكنولوجيا:

التكنولوجيا لفظ مرادف للفظ التقنية والمأخوذ عن لفظ (Technology)، وهو مصطلح مركب من أصل إغريقي وهو بمعنى الفن والصناعة في مختلف العلوم[1].

ومعنى هذا المصطلح في اللغة: أنها تقابلها كلمه تقنيه وهي مشتقة من أتقن اتقانا، وجاء في لسان العرب أن عمر بن تقن كان رجلا من عاد يجيد الرمي بالسهام، فصار العرب يسمون كل من يجيد عملا إنه رجل تقن، وجاءت في القرآن في صيغه الفعل (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) (النمل-88).[2]

(*) جان بودريار Baudrillard Jean (١٩٢٩ -٢٠٠٧ م) منظر ثقافي وفيلسوف فرنسي، ومحلل سياسي، وعالم اجتماع، ومصور فوتوغرافي. تصنف أعمال بودريار بشكل أساس ضمن مدرسة ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية. أهم أعماله نظام الأشياء System The Objects of (١٩٨٦ م)، مجتمع الاستهلاك: الأساطير والبنى:Society Consumer The Structures and Myths (١٩٧٠ م)، مرآة الإنتاج Production of Mirror The (١٩٧٣ م). اهتم بودريار اهتماما خاصا بالصورة وقدرتها عل تشكيل الوعي في المجتمع المعاصر.

بدر الدين مصطفى، **دروب ما بعد الحداثة**، مؤسسة هنداوي سي آي سي ، ط 1 عام 2018م، ص 208.

راجع أيضا: كريس هوروكس ، و زوران جيفتك ، أقدم لك جان بودريار ، ترجمة حمدي الجابري ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط 1 عام 2005م.ص 10

(1) طه ذياب وسامي مظلوم صالح: **التكنولوجيا المعاصرة**، بغداد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ط1، عام ١٩٧٩، ص5.

(2) ابن منظور: **دار صادر، بيروت، ط 3، 1990م**، ج 13 ص 73.

وظهر استخدام هذا اللفظ في العصور الحديثة، وخصوصا بعد الثورة الصناعية عندما بدأت الآلات تأخذ أهميتها في مجال الإنتاج الصناعي [1].

تصفه القواميس بطريقة غامضة حيث تذكر أنه يدل على علم الصناعة، أو أنه الدراسة العلمية للفنون الصناعية الميكانيكية [2]. فيذكر معجم اللغة الإنجليزية الشهير (Oxford Dictionary) أن كلمة (Techni) تعني أسلوب أداء المهنة، أو ما كان يسميه أسلافنا الصنعة، أما كلمة (Technology) فتعني العلم الذي يدرس تلك الصنائع، وكذلك الأمر بالنسبة لأهم معجم فرنسي حديث حيث يكرر التعريف نفسه للكلمتين وهذه التعريفات القاموسية اللفظية المشكوك في سلامتها لا توصل إلى الذهن معنى معروفاً أو تستسيغه المدارك. [3]

وتتميز كلمة التكنولوجيا بصعوبة تحديد مضمونها بدقة، وذلك للسرعة في التغيير الذي لحق بمفهومها حيث أصبح على درجة عالية من التعقيد مما زاد من صعوبة حصرها وتحديد أبعادها فيعتبر البعض مصطلح التكنولوجيا تبعا لذلك من المصطلحات المطاطية. [4]

وبذلك فقد تتعدد التعريفات حول المصطلح نذكر منها بعض التعريفات: من ذلك "إنها الوسيلة التي يسيطر بها الإنسان على محيطه.... وهي لا تعني فقط التطبيق المنهجي للعلوم وفروع المعرفة على القضايا العملية.... ولكنها تعني أيضا الوسط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي يتم التطبيق فيه. [5]

---

(1) أنطونيوس كرم: **العرب أمام تحديات التكنولوجيا**، مجلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد ٥٩، نوفمبر، عام ١٩٨٢م، ص34.

(2) عبد الحميد محمد عطية: **العلوم والتكنولوجيا**، الطريق إلى التنمية والتقدم، الباحث العربي، لندن، مركز الدراسات العربية، العدد ٣٠، عام ١٩٩٢م، ص ٢٩.

(3) فينان محمد طاهر: **مشكلة نقل التكنولوجيا دراسة لبعض الأبعاد السياسية والاجتماعية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص 25.

(4) داود سليمان رضوان ومحمد عبد السلام جبر: **حول مفهم التكنولوجيا والخلفية التاريخية لتطورها ومعاناة نقلها إلى الدول النامية**، الفكر العربي، بيروت، العدد ٧، عام ١٩٧٩م، ص ٦٧.

(5) فلاح سعيد جبر: **مشاكل نقل التكنولوجيا**، نظرة إلى واقع الوطن العربي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، عام 1979، ص 5.

وأيضاً بأنها "نسق من معارف تقنية مستمدة من علوم مختلفة، وتهدف كلها إلى غاية واحدة، وهى تطوير الإنتاج وتنويع وسائله وتحديد دور الإنسان فيه، وهي بهذا سنة كبيرة من سمات العصر الحالي".[1]

من خلال تلك التعريفات يتبين أن مفهوم التكنولوجيا في أوسع معانيه يشمل كل الفنون العملية، والمهارات والمعارف والأساليب التي تهدف إلى صنع واستعمال والحصول على أشياء مفيدة فهي تقنيات ووسائل تؤدي الى تحقيق أغراض محددة، كما أنها تقاليد حضارية طورتها الجماعات البشرية لتتعامل مع البيئة الفيزيائية والبيولوجية بما فيها جسم الإنسان.

وقد تأخذ إما شكل اختراعات وأجهزة حديثة أو ابتكارات (منهجيات حديثة) فقد تكون ذات طبيعة ملموسة متمثلة بالأجهزة المادية الملموسة والمشاهدة، أو تكون ذات طبيعة غير ملموسة متمثلة بالإجراءات والأساليب، أو تشمل الحالتين في أن واحد فكل جهاز مادي يتطلب صنعه وتشغيله وتوظيفه مجموعة من الإجراءات أو الأساليب التي تصبح جزءا من تكنولوجيتها.[2]

مما سبق يستنتج أن لمفهوم التكنولوجيا جانبين: جانب مادي، وجانب استخدامي، فالجانب المادي يتمثل بالآلة نفسها والإنشاءات الهندسية والتفاصيل الفنية المختلفة المتعلقة بتكوين وصيانة آلة الإنتاج والاستخدام الميكانيكي لها، أما الجانب الاستخدامي فيتمثل بعملية تسيير الآلات واستخدامها طبقا لتخطيط محدد، وقرارات تتخذ لتنظيم وتسيير عملية الإنتاج لتحقيق.

إن التكنولوجيا في الخطاب الفلسفي المعاصر شغلت حيزاً واسعاً إذ تطرق اليها فلاسفة معروفون من قبيل: مارتن هيدجر Martin Heidegger (1889-1967)، وجاك إيلول Jack Ellul (1912-1994) وفلاسفة مدرسة فرانكفورت وخاصة جان بودريار وبيتر سلوتردايك Peter Sloterdijk (1947) وغيرهم. غير ان في الثمانينات القرن المنصرم، وخصوصاً في المانيا أصبحت التكنولوجيا موضوعا مهماً بحيث تطور الى حقل مستقل، وأصبحت من المسائل الحيوية للاشتغال الفكري والفلسفي، لذا ومن هذا المنظور تناقش علاقة الفلسفة بالتكنولوجيا، إذ تعد فلسفة التكنولوجيا ما بعد الانساني باراديما (نموذجا

(1) مجمع اللغة العربية بالقاهرة: **المعجم الفلسفي**، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983م، ص 53.

(2) داود سليمان رضوان ومحمد عبد السلام جبر: **حول مفهم التكنولوجيا والخلفية التاريخية لتطورها ومعاناة نقلها إلى الدول النامية**، ص ٦٧.

ارشاديا) جديدا في النقاش الفلسفي، لاسيما أن هذا النمط الجديد من الفلسفة، يعد جزءا من التحولات الجذرية في حلقة النقاش الفلسفي على مدى التاريخ، أي تاريخ الفلسفة. (1)

ولذا يمكن اعتبار التكنولوجيا المعاصرة بوصفها باراديما جديدا، لأنها أحدثت قطيعة مع ما قبلها من النقاشات، والاشكاليات، والمسائل الفلسفية، فالتكنولوجيا كفاعل وعامل أساسي في تشكيل الوعي الإنساني، تركت أثرا على توجهات الأنسان وموجهاته الفكرية، وافعاله وعلاقته بذاته والعالم على حد سواء.

ويرصد لنا أورتيجا ثلاث مراحل رئيسية في تطور التكنولوجيا وتفاعل الإنسان مع الطبيعة التي حوله: المرحلة الأولى: تكنولوجيا المصادفة TECHNOLOGY OF CHANCE

أطلق أورتيجا على هذه المرحلة من تطور التكنولوجيا اسم مرحلة تكنولوجيا المصادفة لأن الصدفة فيها كانت تلعب دور المهندس المسئول عن عملية الاختراع، فالإنسان البدائي لم يكن يدرك تكنولوجيته في حد ذاتها ولم يكن على وعى بحقيقة وجودها بين قدراته التي تمكنه من إحداث تعديل وتغيير في الطبيعة طبقاً لرغباته. (2)

فالأفعال التقنية للإنسان البدائي كما يرى أورتيجا كانت مبعثرة ومتفرقة فيما بينها ومتوحدة مع أفعال الطبيعة، وقد بدت له باعتبارها جزءا من حياته الطبيعية، لقد كانت له مقدرة على أن يشعل النار تماما مثل مقدرته على العدو والسباحة، ومن ثم اختلطت لديه الأفعال الطبيعية مع الأفعال التقنية ولم يخطر في خلده أن التكنولوجيا هي وسيلة التغيير والتقدم غير المحدود، وكانت المرأة تساهم مع الرجل بجهد فعال في الحياة البدائية والاختلاف الوحيد الجدير بالملاحظة والاهتمام هو أن النساء كن يقمن بأعمال تقنية معينة وكان الرجال

(1) موسوعة ستانفورد التكنولوجيا https://plato.stanford.edu/entries/technology/ تاريخ الاطلاع علية 2023/3/25م

(2) إبراهيم طلبه سلكها: **الفلسفة الأسبانية**، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ط 1، عام 2019، ص 266.

يقومون بأعمال أخرى محددة، وإن كان ذلك لم يساعد البدائي على إدراك التكنولوجيا كظاهرة فريدة أو مستقلة. (1)

والإنسان البدائي لم يكن يدرك أن لديه قدرة على عملية الابتكار أو الاختراع واللهو للتواصل حيث كان يجد فجأة وبالصدفة البحتة حيلة أو وسيلة مفيدة ابتكاراته نتيجة لبحث متعمد أو متأنى بل كانت مرتبطة بفترات اللعب واللهو المتواصل حيث كان يجد فجأة وبالصدفة البحتة حيلة أو وسيلة مفيدة وجديدة. (2)

إن الاكتشافات والابتكارات لدى الإنسان البدائي كانت نتيجة للصدفة الحظ ولم تكن نتيجة لأبحاث يقوم بها، إنه لم يعرف مثل هذه الأبحاث ولم يفكر فيها.... لذلك يرى أورتيجا أن البدائيين قد عرفوا النار وبدت لهم باعتبارها قوة إلهية ومن ثم كانت تستحث لديهم العواطف الدينية، ولقد كانت كل التكنولوجيا البدائية مرتبطة بالعاطفة الدينية RELIGIOUS EMOTION وكما كانوا يضفون على كل شيء مسحة سحرية يتسحر ليس شيئا سوى نوع من التكنولوجيا وإن كان هو في الوقت نفسه عديم الجدوى والفائدة. (3)

كما أن الإنسان البدائي لم يعتبر نفسه مخترع اختراعاته أي المسئول عنها، وبدت له الاختراعات أو الابتكارات كبعد آخر من أبعاد الطبيعة كجزء من قوى الطبيعة المزود بها، فالطبيعة تزود الإنسان بأشياء كثيرة وإن كان هو نفسه ليس له طبيعة ولم يشعر بأنه المسئول عن إنجازاته، وبالجملة لم يتصور ذاته باعتباره حيوانا عنها HOME FABER.(4)

من خلال ما سبق نلاحظ أن الإنسان البدائي قد توصل إلى اختراعاته التكنولوجية دون أن يكون على وعى تام بها لقد وصل إليها بالصدفة والحظ؛ واعتبر أن ما توصل إليه من اختراعات ليس نتيجة لقدراته بل نتيجة لقوى الطبيعة التي زودته بها.

---

(1) José Ortega y Gasset: **History as a system and Essays Toward a philosophy of History**, New York, W. W Norton and 2- company, inc 1941, p p 142-143

(2) ibid, p 144.

(3) ibid, p 144.

(4) إبراهيم طلبه سلكها، **الفلسفة الإسبانية**، ص 266.

المرحلة الثانية تكنولوجيا الحرفي .TECHNOLOGY OF THE ARTISANوتشمل هذه المرحلة عند أورتيجا التكنولوجيا التي ظهرت في عهد الإغريق والرومان والعصور الوسطى، وكانت الأفعال التقنية فيها ناضجة إلى حد كبير، وإن كان الإنسان قد ظل في الغالب يعتمد على الطبيعة، وقد ازدهرت التكنولوجيا في هذه المرحلة على يد الحرفيين أصحاب الأعمال اليدوية، فهم الذين ساعدوا الإنسان على أن يعنى التكنولوجيا باعتبارها كينونة مستقلة إذ أخذ الناس ينظرون إلى الحرفيين من أمثال الإسكاف والحداد والبناء والسراجأي صانع السروج أو بائعها أو مصلحها ويعجبون بهم ومظهرهم وأعمالهم ويفكرون في كل ذلك. (1)

وهذا جعلهم يدركون أن هناك عمالا تقنيين ينجزون أنشطة خاصة بهم غير عادية ليست مألوفة وليست شائعة لدى عامة الناس ولكن هؤلاء الحرفيين كانوا يمارسون أعمالهم بصورة طبيعية كما كانوا يمارسون مهارتهم الطبيعية كالعدو والسباحة وغيرها، لذلك فإن التكنولوجيا في هذه المرحلة ارتبطت بطبيعة الإنسان، فلقد وجد الإنسان نفسه مزودا بنسق من المهارات تماما مثلما وجد نفسه مزوداً بنسق لا يتغير من حركاته الجسدية. (2)

وتتضمن التكنولوجيا عنصرين أساسين: الأول هو اكتشاف أو اختراع خطة نشاط أو منهج أو إجراءات الآلة. والثاني هو تنفيذ هذه الخطة العنصر الأول هو التكنولوجيا بمعنى الكلمة، والثاني يتوقف على معالجة المادة الخام ولهذا فإن الحرفي هو التقني وهو العامل. (3)

المرحلة الثالثة تكنولوجيا التفني TECHNOLOGY OF THE TECHNICAL وهذه المرحلة هي عصرنا الحالي وهو عصر التطور التقني ومن خصائص هذه المرحلة أن الإنجازات والأفعال التقنية قد ازدادت بصورة هائلة وهنا يلفت أورتيجا الانتباه إلى حقيقة هامة جديرة بالاهتمام قد عرضها في كتابه "ثورة الجماهير" (1929) وهي أن عدد سكان أوربا بين سنة 500 وحتى 1800 أي خلال اثني عشر قرنا من الزمان لم يتجاوز 180 مليون نسمة، بينما منذ سنة 1800 وحتى الآن أي في اقل من قرن من الزمان بلغ

(1) المرجع نفسه: ص 268.

(2) Ortega y Gasset,Jose: **History as a system and Essays Toward a philosophy of History**, p 47

(3) ibid, p 49.

عدد سكان أوربا 300 مليون نسمة.... ولاشك أن هذه الزيادة الخرافية دليل واضح على تطور التكنولوجيا وكمالها PERFECTION OF TECHNOLOGY. [1]

ويربط أورتيجا التكنولوجيا بالعلم وإذا انطفأت جذوة الاهتمام بالعلم فإن الاتجاه التكنولوجي سيستمر لفترة ما بدافع القصور الذاتي، وإذا ظننا أننا قادرون على الاكتفاء بمنجزاتنا التكنولوجية فإننا نكون غارقين في الوهم، لأن هذه المنجزات وحدها أي بدون علم وحضارة لا تضمن استمرار التقدم أو حتى دوام مثل هذه المنجزات. [2]

ويرى أورتيجا أن الإنسان المعاصر " لا يختار ما إذا كان عليه أن يحيا في الطبيعة أو يتعالى عليها إنه سقط فيما سقط فيه الإنسان البدائي من حيث إنه مازال يعتمد على بيئته الطبيعية ويستتبع ذلك أخطارا مؤكدة، فبمجرد أن يفتح الإنسان المعاصر عينيه للحياة يجد نفسه محاطا بوفرة من الأشياء قد وجدت بطريقة طبيعية أي كالطبيعة ذاتها وبدون تدخل أو تأثير من الإنسان".[3]

وأصبح الإنسان المعاصر ينظر إلى أدوات ومبتكرات حضاراته على أنها منحة من منح الطبيعة. لذلك يشعر أورتيجا بالقلق إزاء الناس الذين يسيطرون على العالم اليوم ويتحكمون في مصير الحضارة المعاصرة. [4]

وهنا يتفق أورتيجا مع بودريار في أن من يملك ناصية التكنولوجيا ويسيطرعليها يملك العالم، ولا شك في أنه قد يستخدمه استخداماً سيئاً أو خطراً، ويحذر بودريار في كتابه "التبادل المستحيل" إلى ما يسميه تضليل العالم والتضليل في تصوره هو السيطرة على العالم ومحاولة تحويل الإنسان إلى آلة لواقع افتراضي، وجسد مثخن بجراحات التقنية ويتجلي هذا التضليل في: 1- النظام العولمي وسياسته الردعية.

---

(1) ibid, p p 151-152.

(2) Ortega y Gasset,Jose: **The Revolt of the Masses,Translated from The Spanish by Willard K. trask**, New York, M, M Norton and Company inc 1960,p p 82-83.

(3) إبراهيم طلبه سلكها: **الفلسفة الأسبانية**، ص 269.

(4) الموضع نفسه.

2- النظام الرأسمالي وسياسته الاستهلاكية.

3- النظام الإعلامي وسياسته الزيفية. وهكذا تتجلى الصورة في هذا الثلاثي السياسي والاقتصادي والإعلامي، وهي مكبلات الحرية الإنسانية وأدوات تضليله. (1)

من خلال ما سبق فإن التطور التكنولوجي قد مر بثلاث مراحل عند أورتيجا المرحلة البدائية وفيها ارتبطت التكنولوجيا بالصدفة والسحر والشعوذة والمرحلة الثانية وهي مرحلة اليونان وحتى فترة العصور الوسطى وفيها ارتبطت التكنولوجيا بأعمال الحرفيين أصحاب المهارات البدوية، وأدرك الإنسان في هذه المرحلة أن التكنولوجيا كيان مستقل أما المرحلة الثالثة وهي مرحلة العصر الحديث وفيها ارتبطت التكنولوجيا بالمعرفة العلمية والاختراعات الدقيقة.

إن ارتباط التكنولوجيا المعاصرة بالتقدم العلمي جعلها تحرز انتصارات عديدة بشكل غير مسبوق في جميع مجالات الحضارة المعاصرة، فقد تغلغلت التكنولوجيا بكل صورها ومظاهرها في حياتنا وزاد الاعتماد على الألة التكنولوجية مما زاد من خطرها أيضا فقد أدى الاستخدام العنيف للتكنولوجيا إلى مزيد من عنف الإنسان تجاه أخيه الإنسان حيث وظف هذا التكنولوجيا في مزيد من الهيمنة والسيطرة على بنى جنسه، فقد حلل جان بودريار سلبيات التكنولوجيا التي تلغى الإنسان وتدمره كالمفاعلات النووية وكذلك الاستنساخ البشرى والإنترنت والإنسان الآلي والهولوجرام والتحول الجنسي...إلخ والإغراق الذى حدث نتيجة دخول الإنسان في العالم الافتراضي الذي احداث فجوة كبير بين الإنسان وبين العالم لأنه أدى إلى اغترابه بطريقة فقد معها أي تميز بين الحقيقي والواقع بلا رجعة في هوة سحيقة.

وقدم بودريار معالجة فلسفية جديدة وحاول اصطحاب بعض العلوم التجريبية في تلك المعالجة وصب كل ذلك في إرجاع الإنسان إلى طبيعته الحقيقة التي متى تمسك بها حافظ على كيانه وأخلاقه وقيمه وقدم في مؤلفه "التبادل المستحيل" جل أطروحته عن هذا التقدم التكنولوجي.

(1) على عبود المحمدي وآخرون: **الفلسفة الغربية المعاصرة**، دار الأمان الرباط مع الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، ط 1، عام1434هـ -2013م، ج 2، ص ص 1316-1317.

ثانياً: العنف التكنولوجي.

يبدأ بودريار في تبين أن التكنولوجيا تؤدى إلى إلغاء الإنسان ودوره في العمل فتحوله إلى آلية ورتابة وفى كل هذا يذهب بدور الإنسان في العمل والإنتاج والتصنيع حتى يصبح الإنسان زائداً عن الحاجة بينما تبقى الآلة هي العنصر الرئيس في العمل والإنتاج.

وفى هذا يشير بودريار إلى أنه عندما يقوم المجال المعلوماتي والآلية المميكنة بمهمة الإنتاج، يصبح العمل وظيفة من غير فائدة، وعندما تسود الذواكر الاصطناعية تصبح ذواكرنا العضوية زائدة عن الحاجة وهي على أية حال باتت تتلاشى شيئا فشيئا، وعندما يحدث كل شيء بين أطراف تفاعلية على شاشة التواصل، يصبح الآخر وظيفة من دون فائدة. (1)

فقد كان من آثار التقدم الصناعي هو التحكم شبه الكامل في الإنتاج بطريقة آلية ويرجع ذلك إلى استخدام آلات تعتمد في تشغيلها على التكنولوجيا، والتوجه نحو أتمتة عملية الإنتاج بالكامل، ويصبح دور العنصر البشري مقتصراً على ملاحظة العمليات الإنتاجية فقط، وصولاً إلى المصنع الذكي وهو منشأة إنتاج تؤدى دورها بعدد قليل جداً من العناصر البشرية أو بدونهم. (2)

ونتيجة هذا التقدم التكنولوجي يزداد الإنتاج ويكون عمل الإنسان في هذا النظام الآلي وهذا التحكم الشامل دور ضعيف وقد يؤدى إلى فقدان بعض الوظائف نتيجة الاعتماد على التكنولوجيات الجديدة في العمليات الإنتاجية، حيث أصبح في الإمكان استبدال الإداريين بمجموعة من البرامج والخوارزميات الذكية التي يمكنها تنفيذ ثلث الوظائف الحالية التي يؤديها الإداريون، ومع الوقت ستختفي الوظائف الفردية تماماً وتظهر أنواع جديدة من الوظائف وفقاً للمتغيرات الجديدة. (3)

---

(1) جان بودريار: **التبادل المستحيل**، ترجمة جلال بدلة، دار معابر، دمشق، سوريا، ط 1 ، عام 2013م. ص 53.

(2) محمود الجزار: **تأثير الثورة الصناعية الرابعة في تغيير متطلبات الإنتاج (الاقتصادية ـ التقنية ــ البشرية)**، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، عدد خاص أكتوبر، عام 2020م، ص 1132.

(3) المرجع نفسه: ص 1133. راجع أيضاً: محمد محمد الهادى: **تأثير الذكاء الاصطناعي وآثاره علي العمل والوظائف**، مجلة كمبيونت، العدد 24، مايو ،2021م ، ص 17.

إلا أن بودريار يحذر من هذا التقدم البرمجي والخوارزمي والحاسوبي الكبير الذي سيشكل خطرا وتهديدا كبيراً على الإنسان في عصر التكنولوجيا ففي اليوم الذي ستسود فيه لغة الحاسوب وقدرة الحساب، وفي اليوم الذي سيزعم فيه الإنسان أنه مكافئ للآلة في مجالها الخاص، وأنه أصبح "مقبولا تكنولوجيا"، سُيغلب في هذا اليوم بشكل لا شفاء منه. (1)

وهنا يؤكد بودريار بأنه ومع قيام الحواسيب ببعض الأعمال والوظائف الإنسانية لا ينفى عنه أنها من صنع واختراع الإنسان ولن يحولها ذلك إلى إنسانية وإن قامت بكثير من أعماله لأنها فاقده للمشاعر والعواطف والأحاسيس، وفى هذا يشير بودريار إلى أن نجاح الحاسوب في قيامه بالتركيب الاصطناعي لبعض الصفات الإنسانية فهذا لا يعني أنه بدأ بالتفكير... إن اللاإنساني يمكنه تقليد الإنساني حتى يصل إلى درجة الكمال، وفى النهاية لن يصل بأية حال ويصبح إنسانياً ولن يخرج عن أن يكون لا إنسانياً. (2)

ولكن على الرغم من الإنجازات التي استطاعت التكنولوجيا أن تحققها من وسائل متطورة لم تستطع أن تصبغ هذه الآلات والتقنيات بصبغة إنسانية، فبقيت آلات جامدة غير حية لا إنسانية يتم عبرها تحقيق الاتصال الافتراضي بين أفراد مجهولين بالنسبة لبعضهم بعضا، يتواصلون عبر آلة لا تمتلك صفة الحياة والوجود البشري، ومهما حاول الإنسان أن يعطيها صفات إنسانية، ومهما حاولت أن تحتل مكان الإنسان في الوجود وفي محالات العمل جمعاء إلا أنها لن تخلق إحساسا وعواطف ومشاعر بشرية، وستبقى مجرد آلة فاقده لكل معنى ومشاعر وعواطف وإن كان يضاف إليها بعض عناصر وأدوات محاكاه.

وفى ذلك يقول بودريار "ما يميز إلى الآن سير عمل الإنسان عن سير عمل الآلات، حتى أكثرها (ذكاء)، هو نشوة العمل، والحياة، واللذة، إن اتكار آلات تتلذذ مازال خارج استطاعة الإنسان". (3)

فما يميز الإنسان كما يرى بودريار هو تفاعله الحقيقي، بينما الآلات فمهما تطورت وحاولت محاكاة الإنسان فهي جامدة متبلة بدون مشاعر وعواطف وأحاسيس، فما أنتجته تلك الآلات التكنولوجية أدت دورا بارزا في تحويل البشر إلى أدوات، وتعمل على تشييئهم والسيطرة عليهم والتأثير في نشاطاتهم السلوكية والذهنية، ويتجلى الخطر في أن تتحول الذات فعلا إلى شيء شبيه بالآلات التي يتعامل معها، وتنعدم معها

(1) جان بودريار: **التبادل المستحيل**، ص 132.

(2) المصدر نفسه: ص 133.

(3) الموضع نفسه.

أحاسيسه ومشاعره وعلاقته بالواقع وبالآخرين، ويتلاشى الحد الفاصل بين الإنساني والتقنية، حيث تندمج الروح الإنسانية مع الرقائقة الرقمية إلى الدرجة التي يصعب فيها التمييز بين الإنساني والتكنولوجي، فالإنسان يقضى جلوته مع الحاسوب وشبكة الانترنت لدرجة أنه أصبح إنسانا آليا مختلط عليه العناصر البيولوجية والتكنولوجية.

وفى هذا الصدد يقول بودريار "لا تنتج الآلات سوى الآلات، وهذا ما يؤكده تطور تكنولوجيات الافتراضي؛ إذ.. التقدم والمكننة إلى تذويب التمييز بين الإنسان والآلة." [1]

فالتطور التكنولوجي خلق عالم افتراضي نقل الإنسان من عالم واقعي إلى عالم افتراضي عالم مشوه وناقص شكل تهديداً وخطر للإنسان عالم مات فيه الواقع كما يقول بودريار أفقد الإنسان كل خصائصه وقيمه وأدى إلى عزلته وغربته، وفى هذا يقول بودريار "لقد أصبحنا عائمين في عالم يقيني أحادي خالٍ كلياً من الضدية إنه عالم افتراضي".[2]

وفى هذا يشير بودريار بأنه يتم إنتاج الواقع انطلاقا من خلايا مصغرة، ومن قوالب وذاكرات... إنه فوق- واقع (hyperreel)...وليس المقصود محاكاة ولا تكرارا، ولا حتى مسخرة، بل المقصود استبدال الواقع برموز عنه[3] ، وهنا كما يوضح بودريار بأن هذا الواقع الإفتراضى يخفي الواقع ويعمل على تلاشيه لصالح واقعى آخر مصطنعاً، ولكنه مشوهة مزيفة تقوم على التضليل والإيهام.

وفى هذا الصدد يقول بودريار" أن تبيد، تدل حرفياً على أن تحرم شيئاً ما من غايته الخاصة أن تحرمه من حده، أن تقصي تحذف الثنائية العداء بين الحياة والموت اختزال كل شيء في نوع من المبدأ الوحيد

(1) جان بودريار: **الفكر الجذري أطروحة موت الواقع**، ترجمة، منير الحجوجي، وأحمد القصوار، دار توبقال، المغرب، ط 1، عام 2006م.ص 39.

(2) المصدر نفسه: ص 78.

(3) جان بودريار: **المصطنع والاصطناع**، ترجمة، جوزيف عبد الله، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 1، عام 2008م، ص 46-47.

للعالم - يمكن أن نقول فكراً وحيداً - قد يجد تجسيده اليوم في جميع تكنولوجياتنا، ولاسيما تكنولوجيات الافتراضي إذا يمكن اعتبار هذا الأمر في آن واحد جريمة ضد العالم". (1)

وكان من نتاج التقدم التكنولوجيا كما يرى بودريار قيام الواقع الافتراضي الذي يشكل نسخة بديلة عن الواقع الحقيقي، الذى يحاول الإنسان فيه البعد والهروب من بؤس الواقع، ففكر الإنسان في اصطناع نفسه ليهرب من الواقع بما فيه من شقاء وبؤس ففكر في عملية الاستنساخ دون ضابط أودون معايير أخلاقية مما أظهر الوجه العنيف واللا أخلاقي للتكنولوجيا.

وهنا كما يشعر أورتيجا تجاه عصرنا بالمرارة والحسرة وبأسف لأنه كان ينبغي أن يكون لعصرنا مثل راسخة ولكن الأمر عكس ذلك، إذ أصبحنا نحيا في زمان يعتقد فيه الإنسان بأنه يملك قدرة خرافية على الخلق والإبداع ولكنه لا يعرف ماذا يخلق أو يبدع إنه سيد كل الأشياء وإن كان ليس سيداً على نفسه يشعر بالضياع وبأنه مفقود في قوته التي ابتدعها، فبعد أن امتلك عالم اليوم وسائل جمة تحت إمرته واكتسب مزيد من المعرفة واستحوذ على قدر أعظم من التكنولوجيا، فالغريب أن الإنسان الجديد بمجرد حصوله على العديد من الامتيازات توهم أنه قد أصبح معفيا من أية التزامات. (2)

فعملية الاستنساخ التي قدم فيها بودريار أطروحته عن عنف هذا التقدم التكنولوجيا وما خلف من آثار في حياة الإنسان التي يسعى الإنسان من خلال تلك العملية إلى الحفاظ على نوعه وبقائه أكبر فتره ممكنه على قيد الحياة أو خلوده بكل الطرق من تبريد أو تجميد عميق أو النسخ والاستنساخ بجميع أشكاله.

لقد كان للتقدم الكبير في عمليات الاستنساخ طرح بعض التساؤلات التي قد تبدو فلسفية وذات طابع نظري عن معنى الفرد والفردية وخصوصاً بعد اتجاه التفكير نحو إمكان امتداد هذه العمليات إلى استنساخ البشر وإغفال كل التحفظات الأخلاقية والدينية التي قد تعرق تلك العمليات، فالاستنساخ يعني في بعض أبعاده على الأقل أن الفرد لن يموت أبدا على أساس أن في الإمكان (إنتاجه) باستمرار وإلى ما لا نهاية من جزء صغير من تكوينه الفيزيقي والظاهر أن تكنولوجيا التوالد والتناسل والإنجاب أفلحت في تحويل ما كان يعتبر حتى الآن مسألة طبيعية إلى عملية صناعية يقوم بها الإنسان حسب مواصفات ورغبات معينة، وهنا يضعف

(1) Jean Baudrillard: **Mots de Passe, Éditions Fayard**, Paris, 2000,p p 64-65.

(2) إبراهيم طلبه سلكها: **الفلسفة الأسبانية**، ص 238.

الأدوار الاجتماعية المصاحبة للتنشئة فيتم اختزالها في إنتاج الفرد الجيني الذي يتم تصنيعه باستخدام العلم وتتحول المشاعر والعواطف والأحاسيس إلى صفات كمية تنتج حسابية يتقلص فيها دور الفرد وعواطفه وحريته. (1)

أمر غريب أن يصادف تطور التقنية بوصولها إلى أوج التقدم الحضاري الذي عرفته الدول المتقدمة في العشرية الأخيرة، وسيطرتها، مع كل سماتها وخصائصها وتفرعاتها، باقترانها مع أزمة للقيم لم يشهد لها التاريخ من قبل في ظروف أصبحت فيها تطور التقنية يجري بضرورة حتمية على حساب الإنسان، الذي انتزعت منه حريته، والتي قضت كذلك شيئا فشيئا على الصفات الطبيعية الملازمة لتكوينه الإنساني. (2)

وفى هذا الصدد يقول بودريار و"يمكن اعتبار مجموع التكنولوجيا الافتراضية بمثابة عملية استنساخ هائل ينقذف فيه الجنس البشري لأجل تخليد ذاته، وبالتالي الإفلات من وجود لا يقيني وشقي وخطير. تتضمن الافتراضية قصدية مجردة، ولكنها مطلقة ونهائية: إنها تخليد النوع بالاستنساخ" (3)، وهنا يحاول بودريار التقريب بين التقدم التكنولوجي وبين الاستنساخ البيولوجي، لأن الإنسان يسعى من خلالهما يبتعد الفرار من بؤسه وشقائه، بدون مراعاة لأى جانب أخلاقي أو قيمي.

إن الاستنساخ يعنى إيجاد كائن حي من خلية جسدية، فيكون نسخة ماثلة للكائن الذي أخذت منه الخلية، وبعبارة أدق يكون الكائن المستنسخ توءما لصاحب الخلية، فإذا نسخنا من خلية جلد الرجل انسانا سيكون حلا مماثلا لصاحب الخلية الجلدية، وإذا كانت الخلية من جلد امرأة فستكون النسخة امرأة، وبالطبع ستمر النسخة بمراحل النمو الطبيعية، من طفولة ومراهقة ورشد وكهولة، وبدا واضحاً أن هذا الاستنساخ شكل من أشكال التكاثر من فرد واحد نستطيع أن نحصل على عدد كبير من الأفراد. (4)

---

(1) أحمد أبو زيد: **تكنولوجيا الاتصال هل تدعم الغربة والانعزال؟**، مجلة العربي، العدد 544، عام 2004م، ص 28.

(2) إبراهيم أحمد: **إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدجر**، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، عام 2006م، ص 136.

(3) جان بودريار: **الفكر الجذري أطروحة موت الواقع**، ص 78

(4) محمد فياض الله الحامدي: **هل يمكن استنساخ البشر، مجلة المعرفة**، وزارة الثقافة، مجلد 36، عدد 410، عام 1997م، ص 55.

لقد قدمت لنا الطبيعة كما يقول بودريار شكلاً استباقيا للاستنساخ من خلال التوأم والتوأمية وكذلك من خلال الخلايا السرطانية هذا الاستباق الرمزي، إنه كما يرى بودريار بأن الإنسان يحلم بتوأمة أبدية تحل مكان التكاثر الجنسي الذي ارتبط بالهروب من الموت فأي تقاعس من الكائنات الحية في صراعها من أجل الحفاظ على نفسها ومن أجل الانقسام والجنس والتغاير يجعلها غير قابلة للانقسام من جديد وبالتالي تكون خالدة. (1)

وهنا يحذر بودريار النتائج التي تؤدى إلى إلغاء دور الأب والأم في العملية الجنسية ويصبح الجنس بحكم هذا الأمر وظيفة من دون فائدة فيخل بالنظام الاجتماعي ويكون الفرد في مشاكل مع نسخته ومن حوله في المجتمع فتنتج كثير من المشكلات العنيفة التي تؤثر على هذا المجتمع.

ويضرب بودريار أنواع للاستنساخ منها استنساخ صناعي(البيولوجي) واجتماعي وذهني.

ويضرب بودريار مثالا على ذلك بوالت ديزني ومدينته التي جسد تلك الفكرة التي تعد استنساخاً للواقع بالإضافة إلى أشكال آخري من الاستنساخ من استنساخ ذهني وسلوكي فيقوم فيها الفرد بتعديل سلوكه وأفعاله فيتأثر بهذا العالم المصطنع المستنسخ الفاقد لكل أنواع الإبداع والتخيل والذكاء بحيث يتفاعل ويتكيف في تلك المدينة الفرد بسطحية وسذاجة وهزلية فيخفى الحقيقة التي يرفضها. (2)

يقول جان بودريار" المفارقة الساحرة والغامضة لليوتوبيا المتحققة من دون وهم هذه اليوتوبيا هي يوتوبيا التفاهة المتحققة (على أرض الواقع)" (3) ، ويستنتج مما سبق بأن هذا العالم كما يتصور بودريار بأن التكنولوجيا ساهمت في بناء عالم مستنسخ ومصطنع من الواقع ولكنه يخفى الحقيقة ويزيفها.

إلا أن بودريار يرى أن الاستنساخ الذهني كان سابقاً بأشواط الاستنساخ البيولوجي كما يشير لذلك بأن المكتسب اليوم هو الذي يستنسخنا ثقافيا بذريعة الفكر الواحد، وإن الاختلافات الفطرية تندثر وبشكل أكثر تأكيدا عبر الأفكار، وطريقة العيش، والوسط والسياق الثقافي، فتصبح نسخاً مطابقاً لبعضها البعض من خلال نظام المدارس، ووسائل الإعلام، والثقافة، والكم الهائل من المعلومات، وهذا الاستنساخ الفعلي، أي، الاستنساخ

(1) جان بودريار: **المصطنع والاصطناع**، ص 168.

(2) محمد شوقى الزين: **تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر**، المركز الثقافي العربى، المغرب، عام 2002م، ص 235.

(3) Jean Baudrillard: **la Paroxyte indifferent ,Entretiens avec Philippe Petit**, Éditions Grassret et Fasquelle, Paris, 1997, p142

الاجتماعي والاستنساخ الصناعي للبشر وللأشياء، هو الذي يخلق الفكر البيولوجي للصيغة الوراثية وللاستنساخ الوراثي الذي لا يقوم إلا بمعاقبة الاستنساخ الذهني والسلوكي. (1)

وهنا يحذر بودريار من الخطر العنيف الذي يحدثه الاستنساخ الاجتماعي والثقافي على تفكير وقيم الفرد فيعمل هذا الاستنساخ على تنميط البشر بحيث يصبحون نسخة واحدة وهذ ما دعا الإنسان إلى التفكير بالاستنساخ البيولوجي الذي لم يكن سوى نتيجة لذلك.

وعبر هذ الاستنساخ البيولوجي يرى بودريار بأن الإنسان يتجه بسرعة أكبر ويبدو أن لدى النوع الإنساني صعوبة في التصالح مع ذاته، إذ بموازاة الأفعال العنيفة التي يمارسها على الآخرين يرتكب في حق نفسه عنفا خاصا، وبعد ذلك يعامل نفسه كأنه الناجي من كارثة آتية كما لو أنه رغم كونه مقتنعا بتفوقه، يكفر عن ذنبه في تطور قاده إلى أفضلية كهذه، ونوعا ما إلى ما وراء نهايته بما هو نوع.

ففي كل مكان كما يرى بودريار بأننا نرى إرادة لإلحاق الطبيعة والحيوانات والأنواع والثقافات الأخرى بجهة اختصاصية عالمية، فالكل مدعو ليأخذ مكانه داخل أنثروبولوجيا تطورية وتجانسية – هذا هو الانتصار الحقيقي لفكر واحد لإنسانية، في تحديدها الغربي طبعا، متذرعة بمقولات العالمية والخير والديمقراطية. (2)

فهي قوة عالمية مسلحة بالتكنولوجيا تريد اختلال أنثروبولوجي متزامن مع اختلال جميع الضوابط الأخلاقية والقانونية والرمزية، فالتكنولوجيا أدت إلى نشر العنف بتهديد القيم والمبادئ الإنسانية؛ فعلى الرغم مما تقدمه التكنولوجيا من وسائل متطورة في مختلف المجالات، إلا أنها تنتج أخلاقا وقيما مختلفة عن القيم السائدة وتستبدل عوضا عنها قيما بديلة زائفة وسطحية.

ويشير بودريار إلى هذا بأننا لا نستطيع، انطلاقا من العلاقات، حساب المعنى وفقدان القيمة بمرور الزمن Obsobscence ومن كافة الأشياء على العموم لا نستطيع حساب الأثر الفوري والديمومة، هكذا هو اللاتعين في المجال الاجتماعي. (3)

---

(1) جان بودريار: **التبادل المستحيل**، ص ص 49-50.

(2) المصدر نفسه: ص 49.

(3) المصدر نفسه: ص 32.

وهنا يبين بودريار الخطر الذي يفرضه المجتمع الذي بات فيه الاستهلاكي يؤثر على الفرد من خلال وسائل التكنولوجيا الإعلامية (التلفاز والإنترنت....) التي تنشأ صراعات بين ما تقدمه التكنولوجيا من إنجازات متسارعة وكثيرة تجبره على اللحاق بها، وبين فردانية الإنسان وخصوصيته، فيتحول الوجود الإنساني إلى وجود عدمي بلا قيم وأخلاق، تتحكم المنظومات الرقمية والمفاهيم والرموز، والعلاقات التي تفرضها تلك الوسائل التقنية من عوالم افتراضية كالكمبيوتر والإنترنت التي تؤثر على الفرد.

فقد طرحت لنا التكنولوجيا أسئلة كثير حول معنى حول معنى الحياة، وحول الوضع الإنساني في ظل الانتشار والهيمنة الواسعة لها والتي تدخل بمجال الشك والتشاؤم حول إجازاتها، وحول الجدوى التي تتحصل منها، فقد اختلفت القيم والمبادئ بفعل هذه التطورات، فهي على الرغم من التقدم الذي أحدثته إلا أنها تؤدي إلى الهلاك لما تحمله من مخاطر قد تقضي على الحضارة الإنسانية كلها، ولاسيما عند استخدام الإنسان لأسلحة التدمير الشامل. (1)

ونتيجة لهذه التطورات التكنولوجية المتسارعة عمل الفرد من هاجس اللحاق بركاب التقدم في سبيل تحقيق ذاته، مع عدم إمكانيته لتحقيق ذلك في ظل الظروف التي تواجهه والتطور المستمر الأمر الذي يدفعه إلى تأنيب ذاته ولومها؛ لأنه يجهد في استنفاد كل طاقاته وقدراته من أجل تحقيق ما يرغب به، وعندما يستغلها كلها يشعر بالسأم من إرادته؛ لذلك يسعى للتخلص من طموحاته التي عجز عن تحقيقها، وذلك من خلال تحويل تلك الإرادة إلى شيء آخر يحاكي المصير الوجودي المتمثل بالموت والأوضاع المتطرفة والمعاناة والتضحية...وغيرها من أساليب عنفية للهروب من مسؤوليته الفردية في تغيير وجوده الذاتي.

ويضرب بودريار أمثلة على ذلك حيث أن الإنسان المعاصر حاول إخضاع نفسه وبإرادته لأوضاع خطيرة، يحاكى فيها المعانة والتضحية: مثل متسلقي المرتفعات العالية، والمحاربين في الأدغال والملاحين... وغيرهم ممن يخاطرون حياهم في هوايات عنيفة وخطيرة، لذلك يرى أنهم بعملهم هذا إنما يصنعون معاناتهم تقنيا، وما تضحيتهم هذه إلا إماتة رمزية لهم لإثبات وجودهم وتعاطفهم مع بؤس الآخرين.

(1) سوزان عبد الله ادريس: **مشكلة العنف عند بودريار وجهة نظر أخلاقية، رسالة دكتوراة**، اشراف عبد السلام بوزبرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، سوريا، عام 2015-2016م، ص 183.

وهذا ما يوضحه بقوله: "هكذا هم كل اللذين يخضعون أنفسهم بإرادتهم إلى الأوضاع المتطرفة: الملاحون، ومتسلقو المرتفعات والأغواريون، والمحاربون في مناورات الأدغال... إنه تصنيع تقني للمعاناة وللتضحية". (1)

وهنا يؤكد بودريار بأن التكنولوجيا تكون محايدة إلا أن الإنسان هو الذى يتحكم في جعلها خير أو شر، وتأتي التكنولوجيا لتعبر في نتائجها عن الهدم وسيطرة قوى العنف والتدمير والشر، فهى وإن كانت تسعى إلى إنقاذ البشرية إلا أنها تخلق المصائب والكوارث، ولاسيما في استخدامها للأسلحة الجرثومية والكيميائية، ومحاولات التحكم بالوعي الإنساني.

فاستخدام الإنسان المعاصر التكنولوجيا استخداماً سيئاً فإن هذا يعمل على زيادة وانتشار العنف في المجتمع، فالحضارة الإنسانية المعاصر استخدمت التقنية بطريقة خاطئة تعمل على زيادة نسبة العنف والدمار ومع ذلك فهي لا تخلقه، وما التاريخ الإنساني إلا سلسلة من أحداث العنف والقتل والتدمير، وتعمل التقنية المعاصرة المتطورة على الكشف عن المأزق الذي يواجه الإنسان، وعن صدمته بما يهدد وجوده الذي هو في الأصل من صنع يديه، ويعمل على تدمير إنسانيته وتوليد العنف وانتهاك حقوقه الطبيعية والانتقاص من كرامته. (2)

ويوضح بودريار أثر هذا الاستخدام السيء للتكنولوجيا بأنه خلق وحده الشر، والهدم بكل أشكاله، ما زال لمعان المعاني، ولما كانت القيم العليا قد استغرقتها التكنولوجيا، حاز الخير التحايث وهجر التعالي لمصلحة قوى الشر. (3)

وهنا يؤكد بودريار أن العالم يعيش مهدداً وفى مخاطر ليس من قبل التكنولوجيا ولكن من الاستخدام الغير إنساني والغير أخلاقي كل ذلك يقف أمام تقدم الحضارة الإنسانية المعاصرة التي لا تحسن استغلال

(1) جان بودريار: **التبادل المستحيل**، ص 63.

(2) فيصل عباس: الاغتراب: **الانسان المعاصر وشقاء الوعي**، دار المنهل اللبناني، بيروت، ط1، عام 2008م، ص ص 325-330.

(3) جان بودريار: **التبادل المستحيل**، ص 109.

واستثمار تلك التكنولوجيا في سعادة البشرية، فتوجه التكنولوجيا بفعل القوى المسيطرة عليها من زيادة عنف الإنسان على أخيه الإنسان فالتكنولوجيا سلاح في يدي الأقوياء، وكما هو معلوم فالضعيف يخضع للقوى.

وليس أدل على ذلك كما يرى بودريار من تأثير الاستخدام السيء للتكنولوجيا من ظواهر العنف الناجمة عنه هي ظاهرة "إرهاب الفضاء المعلوماتي" وما يلحقه من أخطار ومشاكل بمنظومة المعلومات التي تتحكم في جميع مرافق الحياة، لأنها معتمدة على الحاسوب والانترنت لدرجة كبيرة، حيث يتم من خلاله شن هجمات إرهابية تسعي إلى تدمير أنظمة المعلومات التي تعتمد عليها الدول الكبرى في جميع شؤنها، سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية.

ويوجد أمثلة كثيرة معاصرة على العمليات الإرهابية التي قام بها الإرهابيون من خلال شبكة الانترنت، والتي تتمثل بأنواع الفيروسات المختلفة التي خلقتها، وتسبت بأضرار بالغة في أنظمة عدد من الشركات الكبرى التي أدت إلى التحذير مما يسمى بالقصف الالكتروني تشبيها لها بالقصف المدفعي، وما يخلفه من أضرار وخسائر فادحة.

إذ يعتمد هذا كما يرى بودريار الإرهاب على اختراق شبكات الانترنت بهدف مصالح لها طابع سياسي، ويخلف آثارا سلبية في مناح متعددة سياسية واقتصادية واجتماعية. ... متميزا عن الإرهاب المحسوس الذي يستخدم الأسلحة التقليدية من قنابل ومدافع. ...الأمر الذي جعله يغدو "إرهاب المستقبل" الذي يتسبب بأخطار متعددة وخسائر هائلة وتعرض خصوصية الأفراد للخطر، مما يؤدي إلى إلحاق الأذى من قبلهم بعدد كبير من البشر.[1]

بالإضافي الى الخطر الذي يؤديه الإنترنت على حياة الأفراد داخل هذا الفضاء الإلكتروني المحكوم والمسيطر عليه، حيث لا يخضع لأي رقابة وضابط من قبل من يبث وينشر فيه المعلومات الأمر الذي يزيد من نشر العنف، فيتسأل بودريار هل توجد إمكانية فعلية لاكتشاف شيء ما داخل فضاء الإنترنت؟ لأول وهلة،

(1) سوزان عبد الله ادريس: **مشكلة العنف عند بودريار وجهة نظر أخلاقية**، ص 183.

يظهر أن الإنترنت يخلق فضاء ذهنيا حرا، فضاء للحرية والاكتشاف، إنه لا يعرض في الواقع، سوي فضاء خطي. (1)

فرائد (متصفح) الإنترنت تتفاعل مع عناصر معروضة ومواقع جاهزة ورموز متواضع عليها، لا يوجد أي شيء غير خاضع لمراقبة فعلية، ولتوجيه مسبق. كل سؤال مقر لجواب مقدم، فأنت المستجوب وامجي الآليين، والرامز وفكاك الرموز، والمرسل والمرسل إليه: هذه هي نشوة الاتصال. لم يعد هناك أي آخر قبالتك، كما لم تعد هناك وجهة نهائية أو غاية أخيرة أو مقصدية خارجية، وكل ما في استطاعتك هو إنتاج وإعادة إنتاج ذاتك إلي ما لا نهاية، يشبه هذا الدوار الإلكتروني والمعلوماتي "الدوخة" الناتجة عن مخدر. (2)

وهنا يبين بودريار خطر الإنترنت في أنه يخلق عالم خالي من أي رقابة أو ضابط أو معايير لأن الأفراد يتجهون نحو قالب معين يخضع لنظام غير خاضع لأي معايير أو أخلاق، ويحذر من خطر أخر من أخطار الإنترنت حيث يتعامل فيه الفرد مع أشخاص افتراضيين، فكوننا نتعامل مع شبكة (لها الأولوية علي الأفراد) معناه، كما سبق، سحق الذات داخل الفضاء اللامادي الافتراضي، من هنا يتعذر ضبطك حتى بالنسبة لك شخصيا، وهو ما ينهى أو يبشر بنهاية خطاب وقضايا الهوية دون احتساب قضايا الغيرية. (3)

وهنا يحذر بودريار من ضياع وإحساس بفقدان هوية الإنسان في ظل تواجده داخل هذا العالم الافتراضي الذي يغيبه عن الواقع، بل وصل هذا الخطر بأن يصحب الفرد اختلال تصيب الجسد كما يصيب الحاسوب فيروس، فيقول بودريار "دونما أي اعتبار للقيم والمعايير فما يربطني بشاشة الحاسوب هي علاقة تداخل جذري وليس فقط علاقة تفاعلية، مع الحاسوب، أتحول إلى طبقة خارجية للشاشة، وفي ظل هذا التداخل

(1) جان بودريار: **حيائنا تتحول إلى فضاء رقمي: الإنسان كواقع افتراضي للآلة**، ترجمة، أحمد القصوار، منير الحجوجي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام 2013، ص 17.

(2) المصدر نفسه: ص17.

(3) جان بودريار: **الفكر الجذري أطروحة موت الواقع**، ص 77.

القوي بين الصورة الافتراضية والدماغ، تنتج اختلالات تصيب جسدك تماما مثل تلك التي تصيب الحاسوب".[1]

وفى النهاية يحذر بودريار الإنسان من أنه سيفقد سعادته داخل هذا العالم الشبحي الافتراضي الذى يجذبه في اطار حجج ورغابة يطمع فيها الإنسان إلى بلوغ السعادة فيه، وفى هذا يشير بودريار بأن جاذبية الآلات الافتراضية مردها إلى إرادة الإبادة والانصهار داخل حميمية شبحية ولا علاقة للأمر برغبة في التعارف أو التواصل أو حتى اللقاء، تشتغل هذه الحميمية كبديل عن السعادة، ولا تقترب الافتراضية من السعادة إلا لكونها تسحب خلسة كل إحالة على الأشياء والمرجعيات، إنما تعطيك كل شيء، لكنها تحردك في الوقت نفسه وبدقه من كل شيء يتم تحقيق الذات الافتراضية بشكل كامل، لكن، عندما تكون الذات على هذا الوضع، تصبح بشكل آلي شيئا ضمن الأشياء الأخرى، وهذا هو الرعب بعينه.[2]

وهنا يبين بودريار الأخطر الأكبر الذي يزيد من بؤس وعنف الإنسان، حيث يبحث الإنسان داخل هذا العالم عن السعادة التي افتقداها ويستوحشها في هذا العالم الإفتراضى فلا يجد فيها سعادة المنشوده حيث يكون الفرد في عزلة ووحدة تزيد من شعوره بالاغتراب الذاتي.

فمع أن العالم الافتراضي قد ساعد على تلبية رغبات وحاجات الإنسان وكل يتطلع له من غير الرجوع إلى الأخر أو محاولة إقامة علاقات اجتماعية معه، فإن هذا يدعوه إلى الانطواء على ذاته والتهرب من كل واجباته ومشكلاته، الأمر الذي يكرس لديه الشعور بالأنانية واللاإنسانية؛ مما يجعله فريسة للتفكك والاغتراب الذاتي.

ويترتب على ذلك ضياع قيم اجتماعية ومبادئ إنسانية جليلة كالتشارك والتعاون والتعاطف، فتسيطر عليه الأنانية والانعزالية بدلاً من تلك القيم التي سعى للحفاظ عليها، فيكتسب هوية جديدة غير التي سعى للحفاظ عليه، ولهذا يشير بودريار بأنه مع كوننا نتعامل مع شبكة (لها الأولوية على الأفراد) معناه، كما سبق، سحق

(1) جان بودريار: **حيائنا تتحول إلى فصاء رقمي: الإنسان كواقع افتراضي للآلة**، ص 17.

(2) الموضع نفسه.

الذات داخل الفضاء اللامادي للافتراضي، من هنا يصعب ويتعذر ضبطك حتى بالنسبة لك شخصيا، وهو ما ينهي أو يبشر بنهاية خطاب وقضايا الهوية دون احتساب قضايا الغيرية. (1)

وهنا يحذر بودريار من أن الدخول في فضاء الإنترنت هذا الواقع الإفتراضي، جلب على الإنسان ويلات تضعف من التزامه أو تمسكه بأية مبادئ أو قيم، فيشعر الفرد في هذا العالم بضياع هويته مما يبشر على حد تعبير بودريار بنهاية هويته وغربته في هذا العالم بلا رجعة، فالإنترنت فرغ الإنسان المعاصر من كل المعاني والقيم السامية ففرغه من محتواه العاطفي والذهني مستبدلاً علاقات جديدة مع التكنولوجيا الجامدة التي اخترعها، وفى هذا يقول بودريار "في رأيي، تعد الإنترنت جزءا من المشكلة وليست حلا، بل إنها تشكل اليوم لب المشكلة"(2)

إن أشد خطر يهدد الحياة البشرية من التكنولوجيا كما يرى بودريار هو سيطرتها على الإنسان وإلغاؤها للفكر الإنساني والقضاء عليه، في محاولة منها إلى إبداع آلات تكنولوجية أكثر منه ذكاة، وتستعيض عنه بالذكاء الاصطناع، ففي الظاهر يبدو أن التكنولوجيا حلقت نوعا من الحرية والإبداع والاكتشاف، وهي لا تعرض الوقع كما هو إنما تخلق واقعا افتراضيا يحاول السيطرة على ذهن الفرد وتفكيره، وتسلبه كل إمكانية للإبداع والتفكير خارجه، وهو عالم لا يخضع للمراقبة والتوجه المسبق، يؤثر في فكر الإنسان وفي كل حياته، وعن هذا يقول "فبينما كان الفكر ينهي الواقع ذهنيا، تقوم التكنولوجيات الحديثة بإنهائه واقعيا." (3)

ثالثاً: المخاطر العنيفة للتكنولوجيا على الإنسان.

أن الجسد كما يرى بودريار أصبح رمزاً يُقدِّم نفسه ليتبادل رموز الجسد، فالجسد والتقنية يعكسان الواحد في الآخر رموزه الشغوفة، لذلك لا تعود التقنية هي تلك الأداة أو الوسيط النفعي للإنسان، بل أحالها "بودريار" إلى كونها وسيلة لتفكيك الجسد، وهي مجرَّدة عن أي بعد وظيفي، بل هي استمرارية لعملية الموت

(1) جان بودريار: **الفكر الجذري أطروحة موت الواقع**، ص 54.

(2) Jean Baudrillard: **D'un Fragment l'Autre (Entretiens avec François l'Yvonnet)**, Éditions Albin Michel, 2001, p106.

(3) جان بودريار: **التبادل المستحيل**، ص 109.

في تقطيع أوصال الجسد، وضياع الذات واغترابها، حيث إنها تقوم بمهمة إشباع الجسد بالجراح الرمزية، لأنه أصبح غير قادر عن الانفكاك من انتهاكات وعنف التكنولوجيا. (1)

فأهم بُعد تمحوه التكنولوجيا هو الجسد الإنساني على الرغم من أهمية الجسد في تكوين معنى أي شيء، وأي تجاهل للجسد البشري يؤدي بالضرورة إلى فقدان العنصر الأساسي في بلورة المضامين، ولذلك ستنشأ عندنا رغبات وانفعالات وغرائز من نوع جديد لا تقوم على ثنائية الجسد والروح بقدر ما تتبع للمتوسطات الأداتية والرموز والخيال الاتصالي. (2)

فيحذر بودريار بأن الجسد في الفضاء التكنولوجي أصبح رمزاً قطعته جراح التكنولوجيا العنيفة التي أنهكته وأصبح غير قادر على الخلاص والانفكاك منها، وكذلك تشكِّل أدوات التقنية بمجملها كما يرى بودريار وسيلة طيّعة بيد السياسي، فرضية صائبة تأخذ تسويغها في ذلك مما استطاعت أن تؤديه وسائل الإعلام بواسطتها التلفزيون مثلاً، لتؤدي دوراً عجزت عن تأديته كثير من وسائط السياسي من الصحافة والملتقيات والفضاءات الحوارية، بل والمسابقات السياسية لتشكيل أي وعي سياسي للجمهور، وأخذت هذه التقنية بالبحث عن الذروة الجنسية والإباحية (الصورية) كطبيعة تأثيرية على المتلقي، وهذا ما يحول الفكر المعاصر من الواقع واللوغوس إلى الصورة والأيروس. (3)

وفي النهاية كما يصف بودريار الإنسان بأنه يصبح في غربة جديدة بلا وعي، أو غربة ممتعة صورياً، أو غربة شبقية لاتتيح مجالاً للخلاص، وعلى ذلك يتحول الإنسان لمجرد آلة للافتراضي، حيث يقول بودريار: "لاتنتج الآلات سوى آلات، ولربما لم يعد الإنسان إلا الواقع الافتراضي للآلة، وهذا ما تشير إليه الشاشة واستراتيجياتها، وبهذا الشكل يتحول المشاهدون إلى مجرد سائحين داخل قصة افتراضية".

(1) على عبود المحمدي وآخرون: **الفلسفة الغربية المعاصرة**، ج 2، ص 1309.

(2) رمضان بسطاويسي محمد: **نقد الواقع الافتراضي غياب الجسد والمكان والالتزام الأخلاقي**، مجلة العربى، العدد 595، عام 2004م، ص 22-25.

(3) على عبود المحمدي: **عصر السيمولاكرا وعنف النظام في نقد الفائض الصورى السياسي قراءة في مشروع بودريار**، كلية الآداب، جامعة واسط، قسم الفلسفة، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد،7، عام 2012م، ص 326.

وفى ذلك يقول بودريار:" لم يعد بوسعه أن يلعب دوره...إنه الآن صفحة نقية ومعبر لكل شبكات التأثير"[1] ، فلقد غيرت التطورات التكنولوجية لوسائل الإعلام في المجتمع الكثير، ولقد مست لأساس العلاقات الاجتماعية، حيث أصبح كل فرد يعيش في عزلة عن العالم الذي ينتمي إليها، حيث أصبح يتواصل مع الآلة أكثر أو الوسيلة أكثر من تواصل مع أفراد مجتمع. [2]

إن التكنولوجيا عملت على تحويل الإنسان إلى مجرد ذرة اجتماعية منعزلة، إلى فرد أو شخص موجود في المجتمع، مثل كل الكائنات الأخرى المتواجدة والبسيطة وخلافا لهذا الوجود غير الإنساني وغير الصحيح، وفي نطاق الاغتراب العام يضطر الإنسان لأن يكافح من أجل توكيد وجوده الفعلي. [3]

وكذلك يعتقد بودريار أنّ التقنية (ومن ثمة النظام التقني) هي المسؤول الأول عن اندثار المعنى، لا سيما في ظل هيمنة مجتمع استهلاك الرموز والصور. [4]

فما تمارسه وسائل الإعلام كما يرى بودريار على مشاهديها من سطحية وابتذال يجعلها تفقد المعنى والمضمون، وخصوصا في عصرنا المتطور والمتسارع الانتشار هو ظاهرة إيجابية من خلال السطح والمظهر ولكنه خالي من المعني فكما يرى بودريار "نحن نعيش في عالم تزداد فيه المعلومات أكثر فأكثر، بينما يصبح المعنى فيه أقل فأقل" [5]، وبهذا يؤكد بودريار على أن التقدم التقني الكبير الذي شهد العالم المعاصر لم يراعى فيه البعد الأخلاقي لأنه موجه وفق مصالح واعتبارات معينه.

ويقدم جان بودريار ثلاث فرضيات يرى أنها هي السبب في فقدان المعنى في وسائل الإعلام: الفرضية الأولى بأن وسائل الإعلام تنتج المعنى غير أنه وبسبب كثرة ما تنشره من دلالات ومعلومات فإنها تخسر

---

(1) بدر الدين مصطفى: **دروب ما بعد الحداثة، مؤسسة هنداوي سي آي سي ، ط 1، عام 2018م**، ص 28.

(2) تواتي نور الدين: **الحداثة ومجتمع المعلومات**، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعلمية، دراسات اجتماعية، المجلد 2013 ، العدد ديسمبر 2013، ص 138.

(3) إبراهيم أحمد: **إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدجر**، ص 136.

(4) يحيى اليحياوي: بنية الثورة الرقمية فلسفة التكنولوجيا، https://www.mominoun.com/articles/3080 تاريخ الاطلاع عليه 2023/3/27م

(5) جان بودريار: **المصطنع والاصطناع**، ص 27.

المعنى، فعندما يعاد طرح الرسائل ذاتها مرات كثيرة على مدار الساعة، فهذا يحتاج لإعادة إنتاج المعنى مرة أخرى وهذا غير ممكن، الأمر الذي يؤدي إلى ضياع المحتوى والمغزى فيقول بودريار "إما أن ينتج الإعلام المعنى ولكنه لا يتمكن من تعويض الخسارة الحادة في الدلالة في جميع الميادين..... في هذه الحال يجب العمل على إنتاجه على مستوى القاعدة، لاستبدال الوسائل الفاشلة "[1]

وهنا ينبه بودريار على أنه برغم من فيض المعنى في وسائل الإعلام إلا أنه غير مجدي ويرجع ذلك إلى الكم الهائل من المعلومات.

أما بالنسبة للفرضية الثانية: تتمثل بأن الإعلام لا علاقة له بالدلالة والمعنى على الإطلاق إنما هو مجرد وسيط تقني ينشر المعلومة ويحاول إيصالها إلى الجمهور وليس له أي غاية ومعنى ويشبهه جان بودريار بالشيفرة التي تؤدي دورها كوسيط ولا علاقة لها بالمضمون والمحتوى.

فيقول: "إما أنه ليس للإعلام علاقة بالدلالة، فهو قضية أخرى هو نموذج إجرائي لنظام آخر، هو خارج المعنى وخارج تداول المعنى بحد ذاته.... إن الإعلام نوع من شيفرة كما هي الشيفرة الوراثية فالشيفرة هي ماهي عليه وتعمل على طريقتها، أما المعنى فأمر آخر يأتي لاحقاً. [2]

وفى هذه الفرضية ينفى بودريار أي مسؤولية لوسائل الإعلام في إضفاء المعنى على الحدث، وكأن هذه وظيفة أخرى زائدة عنها.

أو أنها على عكس تلك الفرضية السابقة عند بودريار وهى أن لوسائل الإعلام دور في تدمير المعنى والدلالة وبذلك ينافى جان بودريار ما هو متعارف عليه عن دور الإعلام في تحقيق التواصل بين الأفراد وفي إنتاج المعنى ونشر القيم، لأجل ذلك يقارب بين وسائل الإعلام وبين الإنتاج المادي وما يتبعه من نظرية فائض القيمة، فيرى أن الإعلام يقوم على خلق التواصل وعلى إيجاد فائض الثروة والفائدة العامة للمجتمع على الرغم من عدم تنظيمه العقلاني، هذا يظن المجتمع أن الإعلام يوزع المعنى في الأحداث التي ينقلها غير أن هذا ينافى دور الذى يلعبه الإعلام في تزييف الحقائق وقلب الأحداث.

(1) المصدر نفسه: ص 147.

(2) جان بودريار: **المصطنع والاصطناع**، ص ص 147-148.

يقول بودريار "الإعلام يكون مباشرة مديراً للمعنى وللدلالة أو مزيلاً لهما، أما خسارة المعنى فترتبط مباشرة بالفعل التدميري والردعي للمعلومات والميديا ووسائلها الجماهيرية.... في كل مكان يؤمل من الإعلام إنتاج متداول مسرع للمعنى.... نظن أن الإعلام ينتج المعنى فإن العكس هو الذي يحصل".[1]

يستنتج مما سبق أن بودريار يرى أن وسائل الإعلام إما أن تفقد المعنى بسب كثرة المعلومات، وإما أنها تدمر المعنى وإما أنها ليس لها علاقة ولا غاية بتحقيق المعنى، وبذلك لا يحمل الإعلام أي قيم ويبقى أنه في مضمونه يتأسس على الفراغ والسطحية والسذاجة ليكسب أكبر قدر من الجماهير ولتحقيق أغراض وأفكار معينة.

إن الإعلام كما يرى بودريار يلتهم المضامين وكذلك يلتهم الاتصال الاجتماعي ويرجع بودريار ذلك إلى سببين رئيسيين في فقدان الإعلام لدوره في خلق الاتصال وإنتاج المعنى لأنه يقوم بإخراج النسخة البديلة الزائفة ويسعى إلى المحافظة عليها بجعله نسخة خاليه من أي نقد أو عيب.

وفى ذلك يقول بودريار "بدل أن يعمل الإعلام على خلق الاتصال فإنه يستنفد ذاته في إخراج الاتصال، وبدل أن ينتج المعنى فإنه يستنفد ذاته في إخراج المعنى، إنها سيرورة اصطناع هائلة نعرفها جيدا" [2]، وبذلك يرى بودريار أن الجماهير متواطئة مع الإعلام في إلغاء الحس النقدي وأنه أصبح سلبياً أما ما يعرض عليه، وباتت وسائل الإعلام مفرغة من كل مضمون ومن كل محتوى.

أما السبب الثاني الذي يراه بودريار سبب في فقدان الاتصال هو أنه أسهم بشكل كبير ومتزايد في خلق التفكك الاجتماعي فوسائل الإعلام عند طرح معلومة ما حول حدث معين فإننا نتناسى الحدث الأصلي ودورنا في توصيل رسائل الحدث ونهتم باستلاب الحدث وإلغاء الوسيط وبذلك ندمر أي ارتباط بين الإعلام والواقع الحقيقي ويؤدى إلى خلق كارثة المعنى.

وفى هذا الصدد يقول "إن ملاحظة انبجاس المضامين، وابتلاع المعنى، وتلاشي الميديا نفسها، واختفاء كل جدلية الاتصال في دائرية شاملة للنموذج، وانبجاس الاجتماعي في الجماهير، قد تبدو كارثية وميؤوسا منها، بيد أنها ليست في الحقيقة ذلك إلا في نظر المثالية المهيمنة على كل رؤيتنا للإعلام، فنحن جميعنا نعيش

(1) المصدر نفسه: ص ص 148-149.

(2) المصدر نفسه: ص 149.

على مثالية منذهلة بالمعنى والاتصال، مثالية الاتصال عبر المعنى، ومن هذا المنظور فإن ما يتربص بنا فعلا هو كارثة المعنى".[1]

إن أعظم بلاء على البشرية كما يعترف بودريار بأن الإنسان يحلم ويسعى دائما ويمنى نفسه بكل ما أوتي من قوة بابتكار واختراع آلة أكثر قدرة منه، لكنه في الوقت نفسه لا يمكنه التخيل أنه لن يبقى سيد مخلوقاته، وهو بذلك كخالقه، هل يستطيع الله أن يخلق موجودا يتجاوزه؟ ومع ذلك هذا ما نفعله مع خليقتنا (اختراعاتنا التكنولوجيا) ذات التوجيه الأوتوماتيكي التي نقدم لها فرصة التغلب علينا، بل أكثر من ذلك: نحلم أن تتجاوزنا، بل أصبح الإنسان أسير يوتوبيا آلة متفوقة عليه، ومع ذلك عليه التغلب عليها ليحفظ ماء وجهه [2] ، فلا شك في أن الحواسيب الرقمية والذكاء الاصطناعي الذى اخترعه الإنسان سيعانى من ويلات وآلمه يوما ما وقد يفضى إلى إنهاء وتدمير الحياة الإنسانية.

خاتمة

عملت العولمة على العبث بهوية الإنسان مستخدمة بذلك كل الطرق الممكنة؛ ولقد بدأ هذا العبث بالفكرة وانتهى إلى الواقع، فتغلغلت العولمة التكنولوجيا في حياتنا فزادت من عزلة الإنسان في الحياة وأثرت على حياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وعلى الرغم من أن التطور التكنولوجي ساعد الإنسان إلا أنه أفقده إنسانيته؛ فقد أثر بشكل جوهري على طبيعة حياة البشر بنقلهم لواقع افتراضي ساعد على عنف الإنسان ضد نفسه وضد الآخرين. وكذلك من خلال محاولة الإنسان تخليد ذاته متخطياً أي رقابة أو ضابط أخلاقي في سبيل تحقيق استنساخ ذاتى له.

لقد فتحت التكنولوجيا جراحا كبيرة عانى فيها الجسد الإنساني أمراضا وويلات عديدة جراء هذا التدخل التكنولوجي العنيف، فطغيان الغواية الشاملة للتكنولوجيا جعل الإنسان يفكر في صنع آلة أذكى منه ولكن هيهات له ذلك فستكون كما يرى بودريار الآلة التي ستجهز عليه وتدمر وتفنيه.

إن العولمة بكل تجليتها وأبرزها التكنولوجيا تظن حقا أن في رسمها نظاماً موحداً للعالم ترى أنها اليوتوبيا السعيدة الحقيقية لحياة الإنسان المعاصر المطالب باتباعها؟! كل تلك المحاولات هي محاولة الإنسان الدؤوبة لإيجاد يوتوبيا على الأرض ولكن هيهات.

---

(1) المصدر نفسه: ص 153.

(2) جان بودريار: **التبادل المستحيل**، ص 131.

قائمة المصادر والمراجع

أ- باللغة العربية:

1. إبراهيم أحمد: **إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدجر**، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، عام 2006م.
2. إبراهيم طلبه سلكها: **الفلسفة الأسبانية**، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ط 1، عام 2019.
3. أحمد أبو زيد: **تكنولوجيا الاتصال هل تدعم الغربة والانعزال؟**، مجلة العربي، العدد 544، عام 2004م.
4. أنطونيوس كرم: **العرب أمام تحديات التكنولوجيا**، مجلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد ٥٩، نوفمبر، عام ١٩٨٢م.
5. بدر الدين مصطفى: **دروب ما بعد الحداثة**، مؤسسة هنداوي سي آي سي ، ط 1، عام 2018م.
6. تواتي نور الدين: **الحداثة ومجتمع المعلومات**، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعلمية، دراسات اجتماعية، المجلد 2013، العدد ديسمبر 2013.
7. جان بودريار: **التبادل المستحيل، ترجمة جلال بدلة، دار معابر، دمشق، سوريا، ط 1، عام 2013م.**
8. جان بودريار: **الفكر الجذري أطروحة موت الواقع، ترجمة، منير الحجوجي، وأحمد القصوار، دار توبقال، المغرب، ط 1، عام 2006م.**
9. جان بودريار: **المصطنع والاصطناع، ترجمة، جوزيف عبد الله، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 1، عام 2008م.**
1. جان بودريار: **حياتنا تتحول إلى فضاء رقمي: الإنسان كواقع افتراضي للآلة**، ترجمة، أحمد القصوار، منير الحجوجي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام 2013.
10. داود سليمان رضوان ومحمد عبد السلام جبر: **حول مفهم التكنولوجيا والخلفية التاريخية لتطورها ومعاناة نقلها إلى الدول النامية**، الفكر العربي، بيروت، العدد ٧، عام ١٩٧٩م.
11. رمضان بسطاويسي محمد: **نقد الواقع الافتراضي غياب الجسد والمكان والالتزام الأخلاقي**، مجلة العربى، العدد 595، عام 2004م.
2. طه ذياب وسامي مظلوم صالح: **التكنولوجيا المعاصرة**، بغداد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ط1، عام ١٩٧٩.

12. عبد الحميد محمد عطية: **العلوم والتكنولوجيا**، الطريق إلى التنمية والتقدم، الباحث العربي، لندن، مركز الدراسات العربية، العدد ٣٠، عام ١٩٩٢م.

13. على عبود المحمدي: **عصر السيمولاكرا وعنف النظام في نقد الفائض الصورى السياسي قراءة في مشروع بودريار**، كلية الآداب، جامعة واسط، قسم الفلسفة، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد،7، عام 2012م.

14. فلاح سعيد جبر: **مشاكل نقل التكنولوجيا**، نظرة إلى واقع الوطن العربي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، عام 1979.

15. فيصل عباس: الاغتراب: **الانسان المعاصر وشقاء الوعي**، دار المنهل اللبناني، بيروت، ط1، عام 2008م.

16. فينان محمد طاهر: **مشكلة نقل التكنولوجيا دراسة لبعض الأبعاد السياسية والاجتماعية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦.

17. على عبود المحمدي وآخرون: **الفلسفة الغربية المعاصرة**، دار الأمان الرباط مع الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، ط 1، عام1434هـ -2013م، ج 2.

18. محمد شوقى الزين: **تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر**، المركز الثقافي العربى، المغرب، عام 2002م.

19. محمد فياض الله الحامدي: **هل يمكن استنساخ البشر، مجلة المعرفة**، وزارة الثقافة، مجلد 36، عدد 410، عام 1997م.

20. محمد محمد الهادى: **تأثير الذكاء الاصطناعي وآثاره علي العمل والوظائف**، مجلة كمبيونت، العدد 24، مايو ،2021م .

21. محمود الجزار: **تأثير الثورة الصناعية الرابعة في تغيير متطلبات الإنتاج (الاقتصادية - التقنية – البشرية)**، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، عدد خاص أكتوبر، عام 2020م.

ب- باللغة الأجنبية

1. Jean Baudrillard: **D'un Fragment l'Autre (Entretiens avec François l'Yvonnet)**, Éditions Albin Michel, 2001.
2. Jean Baudrillard: **la Paroxyte indifferent ,Entretiens avec Philippe Petit**, Éditions Grassret et Fasquelle, Paris, 1997.
3. Jean Baudrillard: **Mots de Passe, Éditions Fayard**, Paris, 2000 .
4. José Ortega y Gasset: **History as a system and Essays Toward a philosophy of History**, New York, W. W Norton and 2- company, inc 1941.
5. Ortega y Gasset,Jose: **History as a system and Essays Toward a philosophy of History**.
6. Ortega y Gasset,Jose: **The Revolt of the Masses,Translated from The Spanish by Willard K. trask**, New York, M, M Norton and Company inc 1960.

ثانياً: الرسالة

1- سوزان عبد الله ادريس: **مشكلة العنف عند بودريار وجهة نظر أخلاقية، رسالة دكتوراة**، اشراف عبد السلام بوزبرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، سوريا، عام 2015-2016م.

القواميس والموسوعات

1- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1990م، ج 1.
2- مجمع اللغة العربية بالقاهرة: **المعجم الفلسفي**، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983م.

رابعا: مواقع الإنترنت:

1- موسوعة ستانفورد التكنولوجيا /https://plato.stanford.edu/entries/technology
2- يحيى اليحياوي: بنية الثورة الرقمية فلسفة التكنولوجيا، https://www.mominoun.com/articles/3080